الجيش هل ينقسم أم يخرج منه الجنرال الجديد ؟

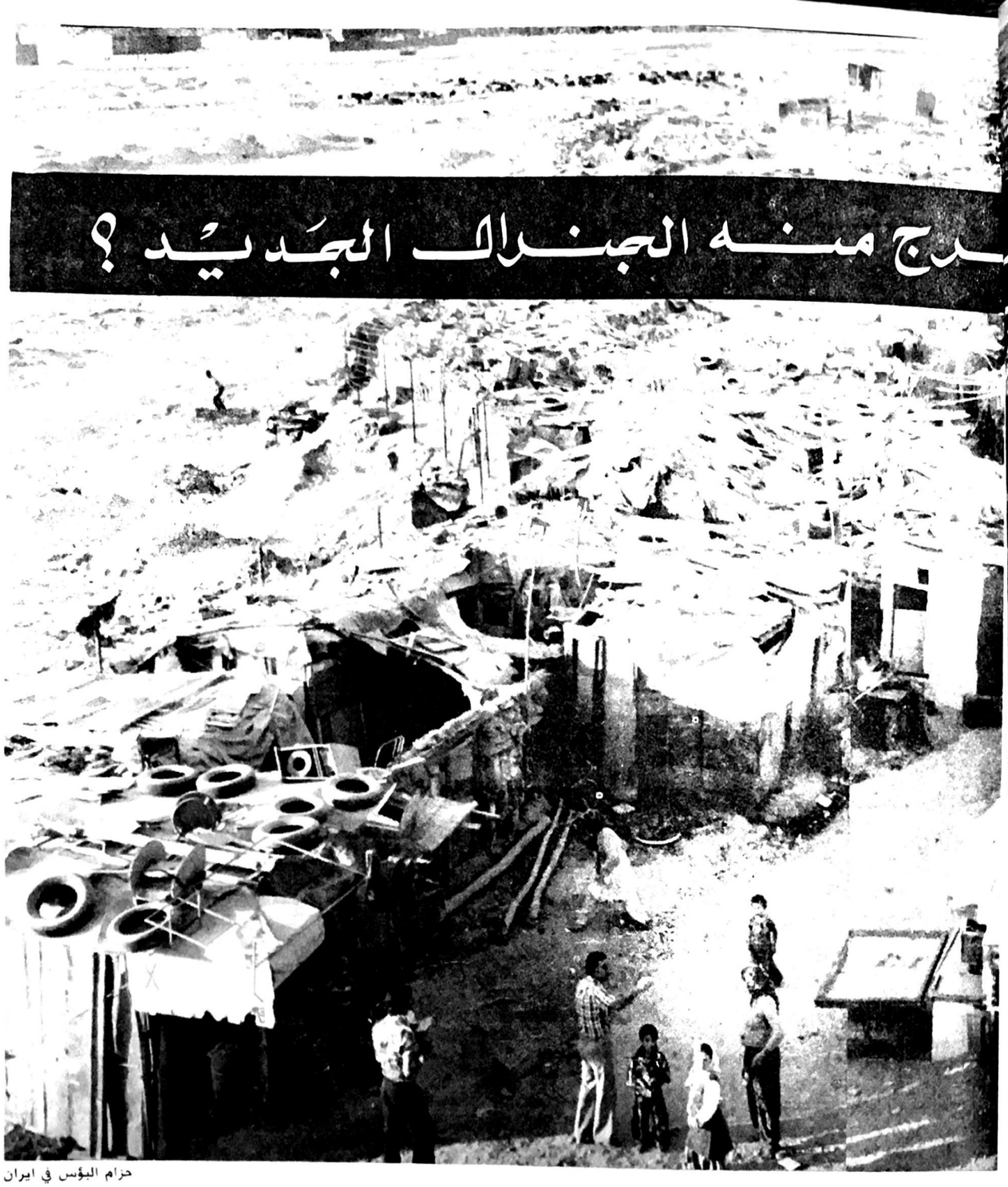

حزام البؤس في ايران

احد كبار مستشاري الرئيس الاميركي بان ادارة كارتر قد وضعت « خططا طارئة » لمواجهة استمرار تدهور الوضع في حال فشل الحكومة العسكرية باعادة امن واستقرار النظام ... وقد جاء اعتقال كريم سنجابي زعيم الجبهة الوطنية وداريوش فاروهار رئيس لجنة حقوق الانسان الايرانية واحد زعماء المعارضة ، ليقفل بابا كان قد بقي مفتوحا لفترة طويلة ، امكان اجراء اي مفاوضات بين حكم الشاه والمعارضة الايرانية « المعتدلة » من اجل التوصل الى تسوية توقف الانتفاضة الشعبية التي تقف على عتبة سنتها الاولى وقد اشعلت النار في اطراف نظام حكم الشاه . ولكن اذا كان المجال الوحيد المفتوح الان هو المواجهة بين القوى المعارضة المنتفضة ضد الشاه وبين جيش الشاه فان فقدان الشكل التنظيمي لدى القيادة الدينية لتأطير المطالب الشعبية المناهضة للنظام وللامبريالية الاميركية يزيد في قوة تحدي الشاه الاخير ، ويضع مسؤوليات ملحة على هذه القيادة .

لقد عين الشاه الحكومة الجديدة العسكرية برئاسة رئيس اركان قواته المسلحة لانها المؤسسة الوحيدة التي يستطيع ان يستند اليها باطمئنان. فالجيش ليس جيش ايران بقدر ما هو جيش شاه ايران . وهي المؤسسة التي كان تحديث الشاه لها تحديثا حديا وسخيا . والتي تعمل لصالح الشاه وتلقى قياداتها التهمات الشاهنشاهية المتعمد عن امتنان دائم ، وتتمتع بامتيازات خاصة .

وعندما كان المحللون الغربيون يتحدثون عن دور الجيش في حماية حكم الشاه ، ما كانوا يقالون كثيرا عندما كانوا يقولون بان الضمانة الاساسية والوحيدة للشاه هي مؤسسة العسكرية . وبان الجيش هو الوحيد القادر على الاطاحة بالشاه حتى الان . لكن ولاءه للشاه لا تشوبه شائبة . وحتى الان ... لقد كان هذا الجيش هو الذي جاء بالامبراطور رضا بهلوي الاب . قبل نصف قرن . وكان هو الذي تصدى لحركة مصدق الوطنية التقدمية المعادية للامبريالية . واطاح به وعاد بالشاه محمد رضا بهلوي الى العرش . قبل ربع قرن . وقد لعب به الشاه اليوم ورقته الاخيرة بدفعه الى واجهة الاحداث لبدده من جماهير الشعب التي تسنده . تنتفض . تتصدى . تقاوم وتستشهد من طغيان حكمه وتزيح الكابوس عن صدرها .

● سؤال يشغل اكثر من طرف

ولكن هل ستنجح هذه المؤسسة العسكرية في المهمة التي اوكلها بها سيدها ؟ ان السؤال لا يقلق القيادة العسكرية فحسب ، ولا شاه ايران وصحبه وبلاطه . بل انه يقلق واشنطن . بريطانيا . اليابان ودول اوروبية اخرى . ويقلق ايضا بصورة خاصة ، « اسرائيل » وحتى جنوب افريقيا العنصرية . فهاتان الدولتان العنصريتان تعتمدان على النفط الايراني اكثر من اي دولة اخرى من الدول المستوردة لنفط ايران . فموقف القيادة المعارضة الدينية الذي يعبر عنه الامام اية الله الخميني هو موقف مناهض للكيان الصهيوني العنصري . وهو موقف يمكن ان يمتد ليشمل الكيان العنصري الجنوب افريقي بذات المقاييس .

لقد حرصت كل من لندن وواشنطن على الاسراع بتأييد خطوات الشاه الاخيرة . واذا كان وزير الخارجية البريطاني ديفيد اوين قد اكتفى بالقول بضرورة ان ينفذ الشاه تعهده بالاصلاح . واستعاد امام مجلس العموم . وعود الشاه بعدم ارتكاب اخطاء ونحاورات الماضي . فان واشنطن لم تكتفي بمثل هذا الكلام . فقد شددت الخارجية الاميركية من جهة . على ان الولايات المتحدة تنظر الى الحكومة العسكرية في ايران كخطوة مؤقتة . ولكن ذلك لا يمنع حقيقة ان ادارة كارتر التي تحمل رؤرا . لواء حقوق الانسان وحده في الحرية والديمقراطية . قد اتخذت موقفا علنيا معاديا للديمقراطية . ورغم تشديد الوزراء ايضا على ان الولايات المتحدة لا ترى ان حكم الشاه في خطر . فان التراجع كان سريعا عندما اعلن مستشار الرئيس كارتر . هاملتون جوردان في مطلع الاسبوع . بان الحكومة الاميركية قد اعدت خطط طوارىء لمواجهة الوضع في ايران في حال استمرار تدهوره . وفشل الحكومة العسكرية في المهام التي اوكلت اليها . وهو اعلان غير مباشر بان الحكم في خطر .

لقد تعمدت واشنطن هذا الاعلان لمساندة الشاه في لعبته لورقته الاخيرة من جهة . ولتهديد القوى المطالبة باسقاطه من جهة اخرى . فالاعلان كان موقفا مساندا للشاه ولحكومته العسكرية . ومهددا لاعداء الشاه . ولكن هذا الاعلان يعكس ان واشنطن على عكس ما تظهره في العلن من اطمئنان الى ان حكم الشاه ليس معرضا . ترى بانه بات كذلك اليوم واكثر من اي وقت مضى . ففي مجالسهم الخاصة . وبحسب تقارير صحافية مشتقاة من مصادر مطلعة . فان عددا من المسؤولين الاميركيين كانت تساورهم آمال بان يستطيع الشاه تحويل حكمه الفردي الى ملكية دستورية بالاتفاق مع المعارضة . ولكنهم يخشون ان يؤدي تنحي الشاه او اقالته . الى ازدياد « تجذر » البلاد . ففي رأيهم . ان اي ائتلاف من دون الشاه . او اي حكومة تسيطر عليها العناصر الدينية لا بد وان تنهار في وقت غير بعيد وتؤدي الى قيام نظام حكم يساري في ايران ... وكان وزير خارجية بريطانيا قد عبر عن هذا التخوف قبل اسبوعين عندما راح يهول باحتمال قدوم الشيوعيين الى الحكم في طهران ، وبرغم بان الشيوعي يعني الاتحاد السوفياتي ...

صحيح ان الشاه لم يستطع القيام بذلك التحول الذي كان مأمولا في بعض كواليس واشنطن ، وجاء بالحكم العسكري عوضا عن ملكية دستورية بالاتفاق مع المعارضة وحاز على تأييد العاصمتين.